

المحاضرة الخامسة

نظرية التهيئة الإعلامية: الأصول، الآليات والتحديات المعاصرة

تمهيد

سعت دراسات تأثيرات وسائل الإعلام منذ زمن طويل إلى تفسير كيفية تشكيل التعرض للاتصال الجماهيري للرأي العام والسلوك السياسي والإدراك الاجتماعي. ومن بين أكثر الأطر تأثيراً تبرز **نظرية التهيئة (Priming Theory)**، التي تفترض أن التعرض للإعلام يؤثر في المعايير التي يستخدمها الأفراد لتقييم الفاعلين السياسيين والقضايا والأحداث. وبينما تؤكد **نظرية ترتيب الأولويات (Agenda-Setting Theory)** على ما يفكر فيه الناس، تركز **نظرية التهيئة** على كيفية تقييمهم لتلك الموضوعات بعد أن تصبح بارزة (Lyengar & Kinder, 1987/2010, pp. 63–66).

1- الأسس النظرية

- **علم النفس المعرفي ومفهوم الإتاحة (Accessibility):** تستند **نظرية التهيئة** إلى علم النفس المعرفي، وخصوصاً إلى مفهوم الإتاحة، أي مدى سهولة استرجاع المعلومات من الذاكرة (Higgins, Rholes, & Jones, 1977, pp. 141–143). فعندما تكرر وسائل الإعلام تسليط الضوء على قضايا أو صفات معينة، تصبح تلك الاعتبارات أكثر حضوراً في الذهن، وبالتالي أكثر احتمالاً أن تُستخدم في الأحكام اللاحقة. هذه الآلية تلقائية في معظمها وغير واعية، وهو ما يميز التهيئة عن الإقناع المتعمد (Hoewe, 2020, pp. 313–315).

- **من ترتيب الأولويات إلى التهيئة:** أظهرت أبحاث ترتيب الأولويات أن اهتمام وسائل الإعلام يؤثر في بروز القضايا في أذهان الجمهور (McCombs & Shaw, 1972, pp. 176–177). وتمتد **نظرية التهيئة** من هذا المنطق لتقول إنه بعد أن تصبح القضايا بارزة، فإنها تتحول إلى **معايير تقييم** في الأحكام السياسية. فعلى سبيل المثال، إذا هيمنت التغطية الإخبارية الاقتصادية على وسائل الإعلام، فإن المواطنين سيقومون القادة السياسيين بناءً على الأداء الاقتصادي (Krosnick & Kinder, 1990, pp. 500–503).

2- آليات التهيئة الإعلامية

- **الإتاحة والملاءمة (Applicability):** تُعد آليتان محوريّتين في تفسير عملية التهيئة:
• **التهيئة بالإتاحة:** التعرض المتكرر يجعل بعض الاعتبارات أسهل في الاسترجاع (Higgins, 1996, pp. 133–135).

• **التهيئة بالملاءمة:** لا تكفي الإتاحة وحدها، بل إن مدى ارتباط الاعتبار بمهمة التقييم يعد عاملاً أساسياً (Price & Tewksbury, 1997, pp. 180–182).

- **المدة والزوال:** عادةً ما تكون تأثيرات التهيئة قصيرة الأمد، إذ تتلاشى مع بروز قضايا جديدة. غير أن التعرّض المتكرر يمكن أن يُبقي بعض الاعتبارات متاحة في الذاكرة لفترات أطول (Roskos-Ewoldsen, 1987/2010, pp. 75–77).

3- التطبيقات التجريبية

- **التقييمات السياسية:** يُعد المجال السياسي أكثر ميادين التهيئة ثراءً في الأبحاث التجريبية. حيث أظهرت دراسات Iyengar و Kinder (1987/2010) أن التعرّض للأخبار التي تركز على قضايا مثل الدفاع أو التضخم يغيّر الأهمية النسبية التي يمنحها المواطنون لهذه القضايا عند تقييم أداء الرئيس. كما أكدت دراسات ميدانية لاحقة أن التغطية الإعلامية للاقتصاد تؤثر بقوة في معدلات الرضا عن الرئيس (Krosnick & Kinder, 1990, pp. 500–503).

- **التهيئة المتعلقة بالقضايا:** يمتد التهيئة إلى مجالات تتجاوز السياسة. فقد أظهرت دراسات أن تغطية الجريمة تمهّد لمواقف أكثر تشدداً تجاه العقاب (Gilliam & Iyengar, 2000, pp. 560–562)، وأن تغطية قضايا الصحة تمهّد لدعم السياسات العامة في المجال الصحي (Scheufele & Tewksbury, 2007, pp. 12–14). كما يمكن لوسائل الإعلام الترفيهية أن تمهّد للقوالب النمطية والمواقف الاجتماعية (Roskos-Ewoldsen et al., 2009, pp. 80–82).

4- أشكال التهيئة

- **التهيئة العاطفية (Affective Priming):** لا يقتصر التهيئة على الجوانب المعرفية، بل يمتد إلى الجوانب العاطفية. فالتعرّض لمحتوى مشحون بالعاطفة يمكن أن يمهّد لتقييمات وجدانية تؤثر في الأحكام اللاحقة (Neuman, Marcus, Crigler, & MacKuen, 2007, pp. 45–47).

- **التهيئة البصرية وتمثيل النماذج (Exemplification and Visual Priming):** يمكن للصور البصرية والنماذج المعروضة في الأخبار أن تمهّد لتصورات الجمهور حول المشكلات الاجتماعية، وغالباً ما تكون تأثيراتها أقوى من الإحصاءات (Zillmann & Brosius, 2000, pp. 12–15).

- **التهيئة الضمنية (Implicit Priming):** غالباً ما يحدث التهيئة خارج نطاق الوعي. يشير (Hoewe, 2020, pp. 315–317) إلى أن متلقي الوسائل الإعلامية قد يتأثرون بمحفزات تمهيدية دون أن يدركوا مصدرها أو يتعقبوه.

5- الشروط الحدية (Boundary Conditions)

- **الفروق الفردية:** تتفاوت تأثيرات التهيئة تبعاً لمستوى المعرفة السياسية، والانتماء الحزبي، والحاجة إلى التوجّه المعرفي. فالأفراد ذوو المعرفة السياسية العالية يميلون إلى مقاومة تأثير التهيئة اعتماداً على

مخططات معرفية مستقرة، بينما يكون الأفراد محدودو المعلومات أكثر عرضة للتأثر (Zaller, 1992, pp. 44–46).

- **البيئة الإعلامية:** في الأنظمة الإعلامية المجزأة، يؤدي الانتقاء الذاتي للمحتوى إلى تضخيم تأثيرات التهيئة الحزبي. أظهر (Stroud (2011, pp. 45–47 أن استهلاك الأخبار المتخصصة يعزز المعايير الأيديولوجية في التقييم.

- **خصائص القضايا:** القضايا الظاهرة (Obtrusive) مثل البطالة تتأثر بدرجة أقل بالتهيئة لأن الأفراد يختبرونها مباشرة، في حين أن القضايا غير الظاهرة (Unobtrusive) مثل السياسة الخارجية تتأثر بدرجة أكبر بتركيز وسائل الإعلام (Zucker, 1978, pp. 227–231).

6- المقاربات المنهجية (Methodological Approaches)

- **التجارب:** تظل التجارب المضبوطة الأداة المثالية لإثبات التأثير السببي للتمهيد (Iyengar & Kinder, 1987/2010). فمن خلال التلاعب بدرجة التعرض، يمكن للباحثين عزل أثر تركيز وسائل الإعلام على التقييمات.

- **الاستبيانات والسلاسل الزمنية:** تربط الدراسات الطولية والاستبيانات المتكررة بين التغيرات في التغطية الإعلامية والتحولات في الرأي العام، مما يعزز الصدقية البيئية للنتائج (Krosnick & Kinder, 1990, pp. 500–503).

- **الأساليب الحسابية:** تعتمد الأبحاث الحديثة على تحليل النصوص الحسابي وبيانات الأثر الرقمي لقياس تركيز القضايا وربطه بالديناميات الرقمية للرأي العام (Roskos-Ewoldsen et al., 2009, pp. 85–87).

7- التحديات المعاصرة

- **التنظيم الخوارزمي للمحتوى:** تقوم منصات مثل فيسبوك ويوتيوب بترتيب المحتوى باستخدام خوارزميات تحدد أنماط التعرض. ما ينتج عن ذلك نوع من **التهيئة الشخصية (Personalized Priming)**، حيث يُمهّد كل فرد عبر قضايا مختلفة وفقاً لتدفق المحتوى الخاص به (Bakshy, Messing, & Adamic, 2015, pp. 1132–1134).

- **المعلومات المضللة والزائفة:** يمكن أن يعزز التهيئة آثار المعلومات الكاذبة أو المضللة، مما يثير إشكالات معيارية تتعلق بالمساءلة الديمقراطية (Bennett & Livingston, 2018, pp. 122–126).

- تراجع الأجندات المشتركة: يؤدي تجزؤ المجال الإعلامي إلى تقليص احتمالية وجود مجموعة مشتركة من المحفزات التهيئية عبر الجمهور، مما يضعف تأثيرات التهيئة الشامل ويقوّي التأثيرات الخاصة بالمجموعات الفرعية (Prior, 2007, pp. 77–82).

8- الانتقادات

يرى النقاد أن نظرية التهيئة تبالغ في تقدير قوة وسائل الإعلام، وتتجاهل السببية المتبادلة بين الإعلام والرأي العام (Soroka, 2002, pp. 29–31). ويشير آخرون إلى أن تأثيرات التهيئة قد تكون ظرفية، قصيرة الأمد، وتتأثر بالميل الفردية (Scheufele & Tewksbury, 2007, pp. 12–15). وقد سعى باحثون إلى تطوير النظرية بدمجها مع مفهومي الإطار (Framing) وترتيب الأولويات (Agenda-Setting)، لتوضيح تداخل أدوارها في تشكيل الإدراك والتقييم (Roskos-Ewoldsen et al., 2009, pp. 75–77).

الخاتمة

تظل نظرية التهيئة الإعلامي أحد الركائز الأساسية في أبحاث تأثيرات وسائل الإعلام. تفسر كيف يؤثر التعرض لتركيز القضايا على المعايير التي يستخدمها المواطنون في أحكامهم السياسية والاجتماعية. ورغم قوتها في التجارب والاستبيانات، تواجه النظرية تحديات جديدة في بيئات إعلامية مجزأة تُنظّم خوارزمياً. وعليه ينبغي أن تركز الأبحاث المستقبلية على دراسة التهيئة المؤرّع، والوساطة الخوارزمية، والآثار المعيارية المرتبطة بالمساءلة الديمقراطية.

المراجع